Journal of Total Science
Volume (9), Issue (35), (March. 2025)
ISSN: 2518-5799

مـجلـة الـعـلـوم الشـامـلـة
المجلد (9)، العدد (35)، ([مارس2025)
ردمد: 2518-5799

# البنية التداولية في الخطاب الشعري: دراسة تحليلية لقصيدة (البردة) للإمام البوصيري

أ. يونس فرج احميد احميد

Younes.ahmeed92@gmail.com

قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم / جامعة سرت – ليبيا

.....

**Abstract**

This research examines Al-Burda Poem by Imam Al-Busiri from a pragmatic viewpoint to understand the interactive communication methods which the poet used to develop his poetic discourse. The investigation examines pragmatic elements together with communicative intentions and speech acts and conversational implicature and audience participation in meaning creation.

The Sufi and religious background of the Mamluk era shaped the poem's meanings while creating a spiritual contemplative text which expresses the poet's journey through repentance and supplication toward praising Prophet Muhammad (PBUH). Al-Busiri used supplication and invocation as well as warning and entreaty speech acts in addition to conversational implicature that allows multiple interpretations through audience religious and cultural understanding.

The research establishes that readers actively contribute to the interpretation of the poem by participating in its meaning-making process. The poem's interpretation depends on the reception context because it can be interpreted during Sufi rituals or religious events or academic literary studies. The pragmatic structure of the poem stands as a primary reason for its enduring influence across time since it continues to be performed during numerous religious ceremonies.

The study suggests additional research on pragmatic analysis of classical Arabic poetry because it would reveal how poetic discourse develops and transforms across various historical periods and social environments.

**Keywords:** *Pragmatics, poetic discourse, Al-Burda poem, Imam Al-Busiri, speech acts, conversational implicature, pragmatic context, reception.*

**المستخلص**

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل قصيدة البردة للإمام البوصيري من منظور تداولي، حيث تسلط الضوء على الآليات التفاعلية والتواصلية التي يعتمدها الشاعر في بناء خطابه الشعري، وذلك من خلال دراسة السياق التداولي، والمقاصد الخطابية، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، وتأثير المتلقي في تشكيل المعنى.

كشفت الدراسة أن السياق التاريخي والثقافي للقصيدة، الذي يتجلى في البيئة الصوفية والدينية للعصر المملوكي، لعب دورًا أساسيًا في تشكيل معانيها، مما جعلها نصًا روحانيًا وتأمليًا يعكس تجربة الشاعر الذاتية مع التوبة والتوسل والمدح النبوي، كما بيّن التحليل أن البوصيري اعتمد على أفعال كلام متعددة، مثل التوسل، والدعاء، والتحذير، والاستعطاف، إلى جانب الاستلزام الحواري الذي أتاح تعدد التأويلات وفق الخلفية الدينية والثقافية للمتلقي.

وأوضحت الدراسة أن المتلقي ليس مجرد مستمع سلبي، بل يلعب دورًا أساسيًا في تشكيل المعنى، حيث يتغير فهم القصيدة باختلاف السياقات التي يتم تلقيها فيها، سواء في المجالس الصوفية، أو المناسبات الدينية، أو التحليل النقدي الأدبي .كما أظهرت الدراسة أن البنية التداولية للقصيدة كانت عاملاً أساسيًا في انتشارها واستمرار تأثيرها عبر العصور، حيث لا تزال تُقرأ وتُنشد في العديد من المناسبات الدينية.

وبناءً على هذه النتائج، توصي الدراسة بمزيد من الأبحاث حول تحليل النصوص الشعرية التراثية من منظور تداولي، لفهم كيفية تشكل الخطاب الشعري وتأثيره عبر العصور، ومدى تفاعل المتلقي معه في سياقات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الخطاب الشعري، قصيدة البردة، الإمام البوصيري، أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، السياق التداولي، التلقي.

**المقدمة**

يُعدّ الخطاب الشعري من أكثر الأشكال الأدبية تعقيدًا، حيث يتجاوز كونه مجرد تعبير جمالي إلى كونه عملية تواصلية ذات طابع تفاعلي، تتجلى فيها علاقة اللغة بالسياق والمتلقي .ومع تطور الدراسات اللغوية الحديثة، برزت التداولية كمنهج يسعى إلى دراسة الكيفية التي تُستخدم بها اللغة في سياقاتها الفعلية، من خلال التركيز على أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراضات المسبقة، وتأثير السياق في تشكيل المعنى .وقد أتاح هذا المدخل إمكانية إعادة

قراءة النصوص الشعرية بمنظور جديد، يراعي طبيعة التفاعل بين الشاعر والجمهور، وما يحكم الخطاب من استراتيجيات لغوية تداولية تهدف إلى تحقيق أثر معين في المتلقي(1).

في هذا السياق، تأتي قصيدة البردة للإمام البوصيري كنموذج بارز للخطاب الشعري الذي يجمع بين المدح النبوي، والتوسل، والتأمل الذاتي، والموعظة، مما يجعلها نصًا غنيًا بالوظائف التداولية التي تستحق التحليل. إذ لا تقتصر القصيدة على الإشادة بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل تتضمن أيضًا استراتيجيات خطابية تفاعلية، يتداخل فيها النداء، والتكرار، والاستفهام، والأمر والنهي، والتوازي الصوتي والدلالي، مما يساهم في تعزيز التأثير الخطابي للنص.

وقد حظيت قصيدة البردة بمكانة خاصة في الثقافة الإسلامية، حيث اعتُبرت إحدى أهم المدائح النبوية التي تُتلى في المناسبات الدينية والمجالس الصوفية، مما منحها ديمومة تداولية جعلتها تتفاعل مع أجيال مختلفة من المتلقين. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تحليل الآليات التداولية التي استخدمها البوصيري في بناء خطابه الشعري، من خلال التركيز على السياق التداولي، والمقاصد الخطابية، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، ودور المتلقي في تشكيل المعنى.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل تداولي متكامل لقصيدة البردة، يكشف عن كيفية توظيف البنية اللغوية والتداولية في تحقيق الأثر الخطابي، ومدى ارتباط المعاني الشعرية بالسياق الذي أنتجت فيه القصيدة، وتأثير ذلك على طريقة استقبالها وتأويلها عبر الزمن .كما تسعى إلى إبراز العلاقة التفاعلية بين الشاعر والمتلقي، وكيف يمكن للخطاب الشعري أن يكون وسيلة تأثيرية تعبّر عن مواقف وجدانية وروحية تتجاوز زمن كتابتها، مما يعزز أهمية التداولية كمنهج في تحليل النصوص الشعرية العربية.

**أهمية الدراسة**

تتمثل أهمية هذه الدراسة في توظيف المنهج التداولي لتحليل قصيدة البردة، مما يتيح الكشف عن استراتيجيات الخطاب الشعري التي اعتمدها البوصيري في إيصال مقاصده، ومدى تأثير السياق التداولي في تشكيل دلالات النص. وتبرز أهمية هذا التوجه في ضوء ما أشار إليه بن عيسى(2) من أن تحليل الخطاب الشعري من منظور تداولي يُعدّ من المقاربات الحديثة التي تفتح آفاقًا جديدة في فهم الشعر العربي، إذ تُمكِّن الباحث من تجاوز البنية اللفظية إلى التفاعل

[1]الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود محمد شاكر. دار المدني. ص. 145.

[2]بن عيسى، عبد القادر. (2017). التداولية وتحليل الخطاب الشعري: مقاربة في السياق والمعنى. دار كنوز المعرفة.

النصي مع المتلقي والسياق. ومن هنا، فإن الدراسة تسهم في إثراء الدراسات التداولية باللغة العربية، وتقديم قراءة جديدة للقصيدة من خلال تحليل أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، فضلًا عن الجمع بين التراث والحداثة بتطبيق منهج لساني حديث على نص شعري تراثي. كما تبرز أهمية هذه المقاربة في إبراز دور السياق في فهم الشعر، وتقديم نموذج تحليلي يمكن توظيفه في دراسة الخطاب الشعري العربي وفق آليات التداولية، مما يجعلها إضافة نوعية إلى البحوث اللغوية والنقدية.

إشكالية الدراسة

يُعدّ المنهج التداولي من المناهج اللسانية الحديثة التي تهتم بدراسة اللغة في سياقها التواصلي، حيث يتجاوز التحليل البنيوي للخطاب إلى فحص العوامل التي تؤثر في إنتاج المعنى وفهمه. وقد أشار أحمد (1) إلى أن التداولية أتاحت للباحثين أدوات تحليل جديدة لفهم النصوص الأدبية، خاصة الشعرية منها، لما تحمله من كثافة لغوية تستدعي تأويلاً متعدداً ومعقداً. وفي هذا السياق، يطرح الخطاب الشعري تحديات نظرية أمام التحليل التداولي، نظرًا لما يتضمنه من أساليب بلاغية تجعل عملية التأويل أكثر عمقًا. ومن بين النماذج الشعرية التي تحتاج إلى مقاربة تداولية معمقة قصيدة البردة للإمام البوصيري، التي تشكّل نموذجًا بارزًا للشعر الديني الذي يجمع بين التعبير العاطفي والتوجيه الخطابي، بناء على ذلك، تنبع الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة، التي يمكن صياغتها في التساؤل التالي:

كيف تسهم البنية التداولية في تشكيل الخطاب الشعري في قصيدة البردة للإمام البوصيري؟ وما هي أبرز الاستراتيجيات التداولية التي استخدمها الشاعر في توجيه خطابه إلى المتلقي؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية، أبرزها:

- ما دور السياق التداولي في تحديد دلالة القصيدة؟
- كيف يوظف البوصيري أفعال الكلام في بناء خطابه الشعري؟
- إلى أي مدى يؤثر الاستلزام الحواري في تشكيل المعنى داخل النص؟
- ما طبيعة العلاقة التواصلية بين الشاعر والمتلقي وفق المنظور التداولي؟

**أهداف الدراسة**

[1]أحمد، محمد. (2015). التداولية وتحليل الخطاب: تطبيقات في الخطاب السياسي والإعلامي والأدبي. دار الفكر العربي. ص. 42.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل البنية التداولية في قصيدة البردة للإمام البوصيري، من خلال الكشف عن العناصر التداولية التي تؤثر في إنتاج المعنى وفهمه. كما تسعى إلى:

1. دراسة دور السياق التداولي في تشكيل دلالة القصيدة.
2. تحليل أفعال الكلام والاستلزام الحواري للكشف عن استراتيجيات الشاعر في إيصال مقاصده.
3. توضيح العلاقة التواصلية بين الشاعر والمتلقي وفق المنظور التداولي.
4. تقديم نموذج تحليلي يمكن تطبيقه على الشعر العربي من منظور التداولية.

**الإطار النظري**

يُعدّ الخطاب الشعري من أرقى أشكال التعبير اللغوي، حيث يجمع بين البنية الجمالية والتأثير الخطابي، مما يجعله ميدانًا خصبًا للتحليل اللغوي والتداولي. وقد أولى النقاد واللغويون اهتمامًا كبيرًا بدراسة الشعر، سواء من حيث بنيته الإيقاعية والبلاغية، أو من خلال البحث في مستوياته الدلالية والتواصلية. ومع تطور المناهج اللسانية الحديثة، ظهر توجه جديد يدرس النصوص الشعرية وفق منظور تداولي، يُعنى بالعلاقة بين المتكلم والمتلقي، مع التركيز على أثر السياق والاستراتيجيات الخطابية في بناء المعنى. وفي هذا الإطار، يشير فرحات(1) إلى أن التداولية تُمكّن الدارس من الغوص في العمق التواصلي للنصوص الشعرية، متجاوزًا الشكل الظاهري إلى البُعد الحواري الذي يربط الشاعر بالمتلقي.

برز بذلك مفهوم التداولية بوصفه منهجًا يهتم بكيفية استخدام اللغة في التواصل، متجاوزًا التحليل البنيوي إلى دراسة أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، ودور السياق في تشكيل المعاني. ونظرًا لكون الخطاب الشعري يحمل طابعًا خاصًا يعتمد على التلميح والرمز والتأثير الوجداني، فإن تحليله من زاوية تداولية يسمح بالكشف عن آليات إنتاج المعنى والتفاعل الخطابي بين الشاعر والمتلقي.

وتأتي قصيدة البردة للإمام البوصيري كواحدة من أبرز القصائد في الشعر الصوفي والمديح النبوي، حيث امتزجت فيها الوظيفة التعبيرية بالبعد الإقناعي، مما يجعلها نموذجًا مناسبًا لدراسة كيفية توظيف البنية التداولية في تحقيق التأثير الخطابي. من هنا، يصبح من الضروري

[1]فرحات، عبد الحليم (2023). التداولية وتحليل الخطاب الشعري: مقاربة تداولية في شعر المتنبي. مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 119، ص 253.

استكشاف المفاهيم التداولية التي يمكن أن تسهم في فهم أعمق للنص الشعري، وذلك من خلال البحث في طبيعة التداولية وعناصرها، وتأثيرها في تحليل الخطاب الشعري.

**أولا: مفهوم التداولية في الدراسات اللغوية**

تعدُّ التداولية من أبرز المناهج اللسانية الحديثة التي تهتم بدراسة استخدام اللغة في سياقاتها التواصلية، حيث تتجاوز تحليل البنية اللغوية إلى البحث في كيفية إنتاج المعنى وفهمه وفقًا للعوامل الخارجية المرتبطة بالمقام والسياق. وقد نشأت التداولية كرد فعل على المناهج البنيوية التي ركزت على دراسة اللغة كنظام مستقل عن مستعمليها، فجاءت التداولية لتؤكد أن المعنى لا يُحدد فقط بالقواعد اللغوية، بل يتشكل عبر التفاعل بين المتكلم والمتلقي في سياق معين(1).

**الجذور التاريخية للتداولية**

يرجع مفهوم التداولية إلى الفلسفة التحليلية، حيث أسهم تشارلز موريس في تحديد معالمها عندما قسّم علم الدلالة إلى ثلاثة فروع وهي علم النحو، وعلم الدلالة، والتداولية، معتبرًا أن الأخيرة تهتم بدراسة علاقة اللغة بمستخدميها، كما جاء الفيلسوف جون أوستن ليؤسس نظرية أفعال الكلام، التي تُعدّ من الأسس الرئيسة التي قامت عليها التداولية، إذ أوضح أن القول ليس مجرد نقل للمعلومات، بل هو فعل بحد ذاته يؤدي وظيفة تواصلية محددة(2).

ثم جاء جون سيرل ليوسّع مفهوم أفعال الكلام، مشيرًا إلى أن اللغة لا تقتصر على نقل الحقائق، بل تُستخدم أيضًا في التأثير والإقناع وبناء العلاقات الاجتماعية(3)، كما قدم هربرت غرايس نظريته حول الاستلزام الحواري، مؤكدًا أن التواصل اللغوي لا يعتمد فقط على المعاني الظاهرة، بل يتضمن أيضًا معاني ضمنية تُستنتج من خلال التعاون بين المتحدث والمتلقي(4).

**التداولية في اللسانيات العربية**

[1]دلاش، الجيلالي. (1992). مدخل إلى اللسانيات التداولية. ترجمة محمد يحياتن. ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر.ص21.

[2]أوستن، جون لانجشو. (1991). نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام. ترجمة: مصطفى ماهر. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. ص. 45-48.

[3]سيرل، جون روجرز. (1994). الأفعال الكلامية: مقالة في فلسفة اللغة. ترجمة: مصطفى صافي. بيروت: دار الحقيقة. ص. 78.

[4]غرايس، هربرت بول. (2009). المنطق والمحادثة. ترجمة: عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر. ص. 112-115.

لم يكن الفكر التداولي بعيدًا عن التراث اللغوي العربي، إذ نجد أصوله في مباحث البلاغة، خصوصًا في علم المعاني الذي ركز على أثر المقام والسياق في تحديد المعنى، وكذلك في الدراسات الأصولية التي اهتمت بمقاصد الكلام ودور نية المتكلم في تحديد دلالته، ومن أبرز المفاهيم التداولية التي نجد لها جذورًا في الفكر العربي ما يلي:

- السياق: حيث ركزت البلاغة العربية على المقام وأثره في تحديد دلالة الخطاب، وهو ما نجده في كتابات عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، حيث أكد أن المعنى لا يُفهم بمعزل عن السياق.
- المقاصدية: في الفكر الأصولي، خصوصًا عند الإمام الشاطبي، حيث تم التركيز على نية المتكلم وأثرها في توجيه المعنى.
- أفعال الكلام: التي يمكن ربطها بمفهوم الخبر والإنشاء في البلاغة العربية، حيث إن بعض الألفاظ لا تنقل فقط معنى، بل تؤدي وظيفة فعلية مثل الأمر والنهي والقسم والتمني.

**أهم المفاهيم التداولية**

1. السياق: يُعدّ أحد أهم المفاهيم التداولية، حيث يحدد طبيعة المعنى بناءً على الزمان والمكان، والمقاصد، وحالة المخاطِب والمخاطَب.
2. أفعال الكلام: وتشمل الأفعال الإخبارية، والإنشائية، والتوجيهية، والتعبيرية، وهي الأفعال التي تحقق أهدافًا تواصلية مختلفة.
3. الاستلزام الحواري: وهو المعنى غير المباشر الذي يستنتجه المتلقي استنادًا إلى مبدأ التعاون في الحوار.
4. الافتراض المسبق: وهو المعرفة التي يُفترض أن يكون المتلقي مدركًا لها مسبقًا لفهم الخطاب بشكل صحيح.

**التداولية وأهميتها في تحليل الخطاب**

تعدّ التداولية اليوم من أهم المناهج اللغوية في تحليل الخطاب، حيث تسمح بفهم كيفية توظيف اللغة لتحقيق أهداف خطابية وتأثيرية .فهي تقدم أدوات لفهم التفاعل اللغوي في الخطاب السياسي، والإعلامي، والأدبي، والشعري، مما يجعلها منهجًا واسع الأفق يمكن تطبيقه على

مختلف أشكال التواصل اللغوي. كما أن التحليل التداولي للنصوص، خاصة في الأدب، يفتح المجال لفهم أعمق للمعاني الضمنية، والعلاقات التواصلية التي تربط بين المبدع والمتلقي(1). تمثل التداولية نقلة نوعية في علم اللغة الحديث، حيث انتقلت بالدراسات اللغوية من تحليل الجملة إلى دراسة اللغة في الاستعمال، مما يجعلها منهجًا مناسبًا لفهم الخطاب الشعري، خصوصًا في القصائد التي تعتمد على التأثير والإقناع والتفاعل مع المتلقي .ومن هنا، فإن مقاربة قصيدة البردة وفق المنظور التداولي تتيح الكشف عن الاستراتيجيات الخطابية التي استخدمها البوصيري، ومدى تأثير السياق والمتلقي في بناء دلالاتها.

ثانيا: البنية التداولية في الخطاب الشعري

يتميز الخطاب الشعري بكونه أحد أكثر الأجناس الأدبية تعقيدًا من حيث البنية والدلالة، حيث يعتمد على آليات لغوية وجمالية تجعل المعنى متعدد الطبقات، مما يفرض ضرورة استخدام أدوات تحليلية تتجاوز المقاربة البنيوية التقليدية إلى البحث في أبعاده التواصلية. ومن هذا المنطلق، تأتي التداولية كمنهج لغوي حديث يسمح بدراسة البنية الخطابية للشعر من خلال تحليل علاقته بالسياق والمتلقي، وهو ما يُعرف بـ البنية التداولية في الخطاب الشعري، والتي ترتكز على مجموعة من العناصر التي تحدد إنتاج المعنى وتأثيره.

مفهوم البنية التداولية في الخطاب الشعري

تعني البنية التداولية في الخطاب الشعري مجموع الخصائص اللغوية والاستراتيجيات الخطابية التي يستخدمها الشاعر لإيصال مقاصده وتحقيق أثره في المتلقي، وذلك في إطار سياق تداولي محدد. وبخلاف الأنواع الخطابية الأخرى، يتميز الشعر بخصوصية لغوية قائمة على التكثيف الرمزي والانزياح الأسلوبي، مما يجعل دراسته من منظور تداولي تسلط الضوء على كيفية تفاعل النص مع متلقيه عبر آليات مثل أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، ووظائف اللغة(2).

محددات البنية التداولية في الخطاب الشعري

[1]أحمد، محمد. (2015). التداولية وتحليل الخطاب: تطبيقات في الخطاب السياسي والإعلامي والأدبي. دار الفكر العربي. ص. 46.

[2]الشيخ أحمد، محمد الأمين، والفوزان، عبد الله بن حمود. (2020). "تحليل الخطاب الأدبي في ضوء النظريات التداولية: دراسة ومقاربات." مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد 60، ص. 15.

تتحدد البنية التداولية في الخطاب الشعري وفق مجموعة من العناصر التي تؤثر في إنتاج الدلالة وتفاعل المتلقي مع النص، من أبرزها:

1. السياق التداولي: يعدّ السياق من أبرز العوامل التي تؤثر في تشكيل المعنى الشعري، حيث لا يمكن فهم النص الشعري إلا في ضوء ظروف إنتاجه، والبعد التاريخي والثقافي، والعلاقة بين الشاعر والمتلقي .فالسياق لا يقتصر على الجانب اللغوي، بل يشمل أيضًا السياق الثقافي والديني والاجتماعي الذي يحيط بالقصيدة. ففي قصيدة البردة للبوصيري، يتجلى السياق التداولي في البعد الديني والتعبدي، مما يجعل فهم النص مرتبطًا بالمنظومة الدينية التي تحيط به(1).

2. أفعال الكلام في الخطاب الشعري: على الرغم من أن الشعر ليس خطابًا مباشرًا كالمحاورة أو الخطبة، إلا أنه يتضمن العديد من أفعال الكلام التي تؤدي وظائف تداولية محددة، مثل الإخبار، والتوجيه، والاستعطاف، والمدح، والدعاء .ففي قصيدة البردة، يستخدم البوصيري أفعال الكلام الإنشائية مثل الدعاء والاستعطاف والاستغفار، مما يعكس الطابع التعبدي والتأثيري للنص، ويعزز من تفاعله مع المتلقي(2).

3. الاستلزام الحواري وتأثيره في المعنى: من المفاهيم المركزية في التداولية، حيث يشير إلى المعاني الضمنية التي يستنتجها المتلقي من الخطاب دون أن تُصرّح بها الألفاظ صراحةً. ففي الشعر، كثيرًا ما يعتمد الشاعر على الإيحاء والاستلزام الحواري لإيصال رسائله دون تصريح مباشر، مما يفتح المجال أمام تعدد التأويلات. ففي البردة، يوظف الشاعر أسلوب الالتماس غير المباشر حين يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم، مستخدمًا ألفاظًا توحي بالرجاء والتوسل، دون أن يصرّح بالأمر المباشر، وهو ما يعزز الأثر العاطفي والتواصلي للنص (3).

---

[1]بن عيسى، عبد القادر. (2017). التداولية وتحليل الخطاب الشعري: مقاربة في السياق والمعنى. دار كنوز المعرفة. ص. 91.

[2]سيرل، جون روجرز. (1994). الأفعال الكلامية: مقالة في فلسفة اللغة، مرجع سبق ذكره ص106.

[3]غرايس، هربرت بول. (2009). المنطق والمحادثة. مرجع سبق ذكرهص. 75.

4. الافتراض المسبق في البنية الشعرية: يعتمد الشاعر في كثير من الأحيان على افتراضات مسبقة مشتركة بينه وبين المتلقي، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا. ففي قصيدة البردة، ينطلق البوصيري من افتراضات دينية معروفة لدى المتلقي، مثل مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وفضائل الاستغفار، وأهمية التوسل، مما يعزز من فاعلية الخطاب ويوجه المتلقي نحو تأويل محدد.

5. وظائف اللغة في الخطاب الشعري: تتنوع الوظائف اللغوية في الشعر بين الوظيفة التعبيرية، والتأثيرية، والإيحائية، حيث يسعى الشاعر إلى التأثير في المتلقي من خلال استراتيجيات بلاغية وتداولية تحقق التواصل الفعّال. ففي البردة، تستخدم اللغة لتحقيق وظيفة وجدانية تعبّر عن مشاعر الحب والتعظيم، إلى جانب وظيفة تأثيرية تسعى إلى استمالة المتلقي وإشراكه في التجربة الشعورية للنص(1).

البنية التداولية وتميّز الخطاب الشعري

يتميّز الخطاب الشعري عن غيره من الخطابات بكونه يعتمد على الاقتصاد اللغوي، والانزياح الأسلوبي، والتأثير الوجداني، مما يجعله أكثر تعقيدًا من حيث البنية التداولية. كما أن التفاعل بين الشاعر والمتلقي لا يكون مباشرًا كما في الحوارات اليومية، بل يتم عبر رموز وإيحاءات تتطلب تأويلًا خاصًا وفق السياق التداولي للنص. ولهذا، فإن دراسة البنية التداولية في الشعر تتيح فهمًا أعمق للاستراتيجيات الخطابية التي يستخدمها الشعراء في التأثير على المتلقي وتحقيق مقاصدهم التواصلية(2).

تعدّ البنية التداولية في الخطاب الشعري عنصرًا أساسيًا في تحليل النصوص الشعرية، حيث تكشف عن الاستراتيجيات الخطابية التي يعتمدها الشاعر في بناء خطابه، ومدى تأثير السياق والتلقي في تشكيل الدلالة .ومن خلال تطبيق هذا المنهج على قصيدة البردة، يمكن الوقوف على دور السياق، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق في تحقيق الأثر التداولي للنص، مما يسهم في تقديم قراءة جديدة للقصيدة من منظور لغوي حديث.

ثالثا: عناصر الخطاب الشعري وفق المنظور التداولي

[1]جاكوبسون، رومان. (1985). اللغويات والشعرية. ترجمة: محمد البكري. دار توبقال للنشر. ص. 81.
[2]دلاش، الجيلالي. (1992). مدخل إلى اللسانيات التداولية. مرجع سبق ذكره. ص117.

يتميّز الخطاب الشعري بخصوصيته اللغوية والتعبيرية التي تجعله أكثر تعقيدًا من غيره من الخطابات، حيث يعتمد على التكثيف الرمزي، والانزياح الأسلوبي، والاستعارات البلاغية التي تضفي عليه أبعادًا دلالية متعددة. ومن خلال المنظور التداولي، يُنظر إلى الخطاب الشعري باعتباره عملية تواصلية بين الشاعر والمتلقي، يتشكل فيها المعنى عبر سياق معين واستراتيجيات خطابية محددة، ولفهم هذا الخطاب من منظور تداولي، لا بد من الوقوف على العناصر الأساسية التي تسهم في تشكيل بنيته التواصلية، والتي تشمل المتكلم (الشاعر)، والمخاطب (المتلقي)، والرسالة (النص الشعري)، والسياق، والاستراتيجيات التداولية المستخدمة في بناء المعنى.

1. المتكلم (الشاعر) ودوره في بناء الخطاب الشعري

في التداولية، يُنظر إلى المتكلم باعتباره الطرف الفاعل في إنتاج الخطاب، حيث يتحدد دوره وفقًا لمقاصده التبليغية وطريقة صياغته للرسالة اللغوية. وفي الخطاب الشعري، لا يكون الشاعر مجرد ناقل للمعنى، بل يتجاوز ذلك إلى كونه مبدعًا للغة، ومؤثرًا في المتلقي، ومنظمًا لعناصر الخطاب بأسلوب فني.

في قصيدة البردة، يبرز الإمام البوصيري كمُرسل للنص، لكنه يعتمد على أشكال خطابية متنوعة، فتارةً يكون في مقام المادح، وأخرى في مقام المناجي، وأحيانًا في مقام المخاطِب والمتضرّع .هذا التنوع في أدوار المتكلم يعكس التعدد الوظيفي للخطاب الشعري، حيث يهدف إلى التأثير في المتلقي عبر استخدام أفعال كلام مختلفة (1).

2. المخاطب (المتلقي) وأثره في تشكيل المعنى

لا يكتمل الفعل الخطابي إلا بوجود متلقٍ قادر على تفسير وفهم الرسالة اللغوية. وفي التداولية، يُنظر إلى المتلقي باعتباره شريكًا في إنتاج المعنى، حيث يعتمد الفهم الصحيح للخطاب على الخلفية المعرفية والتأويلية التي يمتلكها المتلقي، إضافةً إلى السياق الذي يحيط بالنص.

في البردة، يتعدد مستوى التلقي بين:

- المتلقي الداخلي، أي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يخاطبه الشاعر مباشرةً.

[1]سيرل، جون روجرز. (1994). الأفعال الكلامية. مرجع سبق ذكره. ص91.

- المتلقي الخارجي، أي القارئ أو المستمع، الذي يتفاعل مع النص وفق خلفيته الدينية والثقافية.

يؤدي هذا التعدد في مستويات المخاطب إلى تنوع مستويات المعنى في الخطاب الشعري، حيث يكتسب النص أبعادًا دلالية متعددة وفق زاوية التأويل التي يعتمدها المتلقي.

3. الرسالة الشعرية وأسلوب بنائها

تُعدّ الرسالة جوهر الخطاب الشعري، حيث يسعى الشاعر إلى إيصال فكرته بأسلوب فني يحقق التأثير في المتلقي. ومن منظور تداولي، لا تقتصر الرسالة على المضمون الظاهر فقط، بل تشمل أيضًا المعاني الضمنية، والاستلزام الحواري، والإيحاءات البلاغية التي تسهم في تشكيل المعنى.

في قصيدة البردة، تحمل الرسالة الشعرية أبعادًا مختلفة، فهي ليست مجرد مدح للنبي صلى الله عليه وسلم، بل تتضمن أيضًا التوبة والرجاء والتوسل، مما يجعلها نصًا تفاعليًا يدعو المتلقي إلى التفاعل العاطفي والروحي مع الشاعر.

4. السياق وأثره في تشكيل المعنى

يُعدّ السياق أحد العناصر المركزية في التداولية، حيث يحدد طريقة تأويل الخطاب وفهمه . والسياق في الخطاب الشعري يمكن تقسيمه إلى(1):

- السياق الخارجي: أي الظروف التاريخية والثقافية والدينية التي أنتجت فيها القصيدة.
- السياق الداخلي: أي المعطيات اللغوية والأسلوبية داخل النص نفسه، مثل البنية الإيقاعية، والتراكيب النحوية، والروابط الدلالية.

في البردة، يتجلى السياق الخارجي في كونها قصيدة دينية كُتبت في عصر ازدهار التصوف والمدائح النبوية، مما يجعل دلالاتها مرتبطة بذلك الإطار. أما السياق الداخلي، فيبرز في اختيار المفردات، والتراكيب، والصور البيانية التي تعكس مقاصد الشاعر وتحدد طبيعة التفاعل بين النص والمتلقي.

5. الاستراتيجيات التداولية في بناء الخطاب الشعري

[1]فان ديك، تيون. (2000). تحليل الخطاب والسياق. ترجمة: سعيد حسن بحيري. دار كنوز المعرفة. ص. 105-112.

يعتمد الشاعر على مجموعة من الاستراتيجيات التداولية التي تسهم في تحقيق التأثير المطلوب، ومن أبرزها:

أ. أفعال الكلام

تتضمن القصيدة مجموعة من أفعال الكلام، مثل:

- الأفعال الإخبارية: حيث يخبر الشاعر عن حاله، كما في وصفه لمعاناته وذنوبه.
- الأفعال الإنشائية: مثل الدعاء، والاستغفار، والتوسل، وهي أفعال تسهم في تعزيز البعد التأثيري للنص.

ب. الاستلزام الحواري

يستخدم الشاعر أسلوب الإيحاء والتلميح بدلًا من التصريح، مما يفتح المجال أمام تعدد التأويلات. فمثلًا، عندما يتحدث البوصيري عن ذنوبه، فإنه لا يصرح بها مباشرةً، لكنه يلمّح إليها بعبارات توحي بها، مما يجعل المتلقي يشارك في استنتاج المعنى بدلًا من تلقيه مباشرة(1).

ج. الافتراض المسبق

يعتمد الشاعر على افتراضات مشتركة بينه وبين المتلقي، مثل عظمة النبي صلى الله عليه وسلم، ومكانته الرفيعة، ودوره في الشفاعة، مما يسهم في تسهيل التواصل وتحقيق التأثير العاطفي المطلوب(2).

تشكل عناصر الخطاب الشعري وفق المنظور التداولي وحدة متكاملة تسهم في إنتاج المعنى وتأثيره، حيث يعتمد الشاعر على المتكلم، والمتلقي، والرسالة، والسياق، والاستراتيجيات التداولية لتحقيق التواصل الفعّال. ومن خلال تحليل هذه العناصر في قصيدة البردة، يمكن الكشف عن كيفية بناء الخطاب الشعري بأسلوب تداولي يهدف إلى التأثير في المتلقي، وإيصال مقاصد الشاعر بطرق مباشرة وغير مباشرة.

**الدراسات السابقة**

يعد التحليل التداولي للنصوص الشعرية من المجالات التي بدأت تحظى باهتمام متزايد في الدراسات اللغوية الحديثة، حيث يتيح فهم أعمق للخطاب الشعري من خلال استراتيجيات

---

[1] غرايس، هربرت بول. (2009). المنطق والمحادثة. مرجع سبق ذكره. ص130.

[2] السيد، أحمد محمد .(2017) .*التداولية وتحليل الخطاب: دراسة في آليات التأويل والافتراض المسبق*.دار الفارابي. ص. 63.

التواصل، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والسياق التداولي، وتأثير المتلقي .ومن أجل دعم الدراسة الحالية التي تسعى إلى تحليل قصيدة البردة للإمام البوصيري من منظور تداولي، فقد تم استعراض عدد من الدراسات السابقة التي تتقاطع مع موضوع البحث، سواء في مجال تحليل الشعر العربي تداوليًا، أو دراسة أفعال الكلام والاستلزام الحواري في الخطاب الشعري، أو دور السياق والتلقي في تشكيل المعنى.

1. الشعر العربي القديم في الدراسات التداولية(1).

تناولت هذه الدراسة مدى إمكانية تطبيق المقاربة التداولية على الشعر العربي القديم، حيث ناقشت الاتجاهات اللغوية التي سادت في القرن العشرين، والتي انقسمت بين الاتجاه الشكلي الذي يهتم بالبنية اللغوية، والاتجاه الوظيفي الذي يركز على دور السياق في تشكيل المعنى . وقد أكدت الدراسة على أن التداولية، بوصفها امتدادًا للاتجاه الوظيفي، تتيح أدوات تحليلية فعالة لفهم النصوص الشعرية، من خلال التركيز على دور السياق، والمتكلم، والمتلقي، والزمان والمكان، وأفعال الكلام في تحديد المعنى المراد. كما ناقشت الدراسة قلة اهتمام الباحثين العرب بتطبيق التداولية على الموروث الأدبي، مما يشير إلى وجود فجوة بحثية تحتاج إلى المزيد من الدراسات التطبيقية في هذا المجال.

وتتلاقى هذه الدراسة مع البحث الحالي من حيث محاولة تطبيق أدوات التحليل التداولي على نص شعري عربي تراثي، حيث تبرز أهمية السياق في تحليل قصيدة البردة، وكيفية تأثيره في تشكيل دلالات النص وعلاقته بالمتلقي.

2. الفعل الكلاميّ الخبريّ في الخطاب الشعريّ للسيد الحميريّ: التمثيل النحويّ للوظائف التداوليَّة(2).

ركزت هذه الدراسة على تحليل أفعال الكلام في الخطاب الشعري، من خلال تطبيق نظرية أفعال الكلام على شعر السيد الحميري .وقد اهتمت بتحليل الفعل الخبري بوصفه أداة تبليغية وإقناعية في الخطاب الشعري، حيث استُخدم لنقل التصورات العقدية، والدفاع عن الأفكار، وتحقيق مقاصد خطابية متعددة .كما ناقشت الدراسة الفرضية التي ترى أن الخطاب الشعري

[1]الزبيدي، الباحث & حمادي، أ.د. (2022). الشعر العربي القديم في الدراسات التداولية. مجلة لارك، المجلد 2، ص 375-395.

[2]حسين، نجم. (2022). الفعل الكلاميّ الخبريّ في الخطاب الشعريّ للسيد الحميريّ: التمثيل النحويّ للوظائف التداوليَّة. مجلة العلوم الأساسية، المجلد 5، ص 143-174.

يتميز بسمات تداولية خاصة تختلف عن غيره من الخطابات، حيث يتجاوز المستوى الجُملي إلى مستوى الخطاب ككل، بوصفه وحدة تواصلية متكاملة.

تتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في تحليل أفعال الكلام في الخطاب الشعري، حيث سيتم في هذه الدراسة تحديد أفعال الكلام المختلفة في قصيدة البردة، ومدى تأثيرها في تحقيق المقاصد التداولية للنص، مثل التوسل، والمدح، والاستعطاف، والتوجيه، والتحذير .كما أن مناقشة الفروقات بين الخطاب الشعري والخطاب التواصلي توفر أساسًا نظريًا يمكن تطبيقه على تحليل البناء التداولي لقصيدة البردة.

3. التّناصُّ اللُّغَوِيُّ في الصّورَةِ الْفَنِّيَّةِ بَيْنَ رِسالةِ أَبي عَبْدِ اللهِ الصَّغيرِ وَبُردَةِ الْإمامِ البوصيريّ (1).

تناولت هذه الدراسة العلاقة بين قصيدة البردة وبعض النصوص الشعرية الأخرى، من خلال تحليل التناص اللغوي الذي يربط بين الصور الفنية في قصيدة البردة، ورسالة أبي عبد الله الصغير .وقد أظهرت الدراسة أن القصيدة كانت مصدرًا إبداعيًا أثر في العديد من النصوص الأدبية اللاحقة، وأنها تحمل بنية تداولية تسمح بإعادة إنتاجها في سياقات مختلفة، مما يعزز من تأثيرها واستمراريتها في التراث الأدبي.

تمثل هذه الدراسة إضافة مهمة للبحث الحالي، حيث تُبرز كيفية تأثير البنية التداولية لقصيدة البردة في استقبالها وإعادة استخدامها في نصوص لاحقة، مما يعزز فكرة أن الخطاب الشعري لا يقتصر على لحظة إنتاجه، بل يظل تفاعليًا ومتجددًا بتعدد سياقات تلقيه.

4. السياق التداولي وبناء المعنى في شعر "أبي تمام" (فتح عمورية اختيارًا)(2).

ركزت هذه الدراسة على دور السياق التداولي في تشكيل المعنى في الشعر العربي، من خلال تحليل قصيدة فتح عمورية لأبي تمام، حيث تم تسليط الضوء على العلاقة بين المعاني الصريحة والضمنية، وكيف يؤثر السياق في توليد الدلالات المتعددة .وأظهرت النتائج أن السياق لا يقتصر على المحيط اللغوي للنص، بل يشمل أيضًا القرائن الخارجية التي تحدد كيفية تأويل الخطاب الشعري.

---

[1] الرُبابية، هارون. (2023). التّناصُّ اللُّغَوِيُّ في الصّورَةِ الْفَنِّيَّةِ بَيْنَ رِسالةِ أَبي عَبْدِ اللهِ الصَّغيرِ وَبُردَةِ الْإمامِ البوصيريّ. مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 50، ص 288-305.

[2] الجابري، م. (2023). السياق التداولي وبناء المعنى في شعر "أبي تمام" (فتح عمورية اختيارًا). مجلة كلية التربية – جامعة واسط، المجلد 52، ص 109-120.

تتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في تحليل السياق التداولي لقصيدة البردة، حيث سيتم دراسة الظروف التاريخية والثقافية والنفسية التي أحاطت بنظمها، وكيف ساهم ذلك في تحديد وظيفتها الخطابية وتأثيرها على المتلقي.

5. النص وتجليات التلقي(1).

تناولت هذه الدراسة نظرية التلقي، وركزت على دور المتلقي في تشكيل معنى النص الأدبي، من خلال تحليل استجابات النقاد والقراء تجاه نص شعري محدد عبر مراحل زمنية مختلفة . وقد أظهرت الدراسة أن المعنى لا يتحدد فقط من خلال نية المؤلف، بل يتشكل من خلال التفاعل بين النص والمتلقي، والسياق الذي يُقرأ فيه النص .كما بيّنت كيف يمكن لنص واحد أن يُقرأ بطرق مختلفة بناءً على خلفية المتلقي وزاوية تأويله.

تعتبر هذه الدراسة ذات أهمية كبيرة للبحث الحالي، حيث سيتم تسليط الضوء على تأثير المتلقي في تشكيل معنى قصيدة البردة، وكيف اختلف تلقيها بين المتلقي الصوفي، والمتلقي التقليدي، والمتلقي النقدي .كما أنها تدعم فكرة أن القصيدة ليست نصًا ثابتًا، بل خطاب تفاعلي يتجدد مع اختلاف السياقات التي يُقرأ فيها.

تبرز الدراسات السابقة أهمية التحليل التداولي في فهم النصوص الشعرية، حيث أوضحت كيف أن السياق، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والتلقي تؤثر في تشكيل المعنى داخل النصوص الشعرية العربية. وقد قدمت هذه الدراسات أسسًا نظرية وتطبيقية يمكن الاستفادة منها في تحليل قصيدة البردة، خاصة فيما يتعلق بـ أفعال الكلام، والسياق التداولي، والتأثير الخطابي، ودور المتلقي في إعادة تشكيل المعنى .ويأتي هذا البحث ليُسهم في سد الفجوة البحثية من خلال تقديم تحليل تداولي شامل لقصيدة البردة، وإبراز الآليات التفاعلية التي اعتمدها البوصيري في بناء خطابه الشعري.

**المنهجية**

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التداولي بوصفه الإطار النظري الملائم لتحليل الخطاب الشعري في قصيدة البردة للإمام البوصيري، حيث يركز على دراسة عناصر التفاعل اللغوي بين النص والمتلقي، وتأثير السياق التداولي وأفعال الكلام والاستلزام الحواري في تشكيل المعنى. ومن أجل تحقيق أهداف البحث، تم اتباع منهجية علمية قائمة على الخطوات التالية:

[1]سالم، عباس خداده. (2000). النص وتجليات التلقي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 147، سلسلة الرسائل الجامعية (20)، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي.

**جمع المادة العلمية**

تم جمع المصادر الأساسية المتعلقة بموضوع البحث، والتي تشمل:

- مصادر نظرية: كتب ومراجع تناولت التداولية وتحليل الخطاب الشعري، إضافةً إلى دراسات حول النظرية التداولية في اللسانيات.
- مصادر تحليلية: أبحاث ودراسات سابقة تناولت قصيدة البردة من منظور لغوي أو نقدي، مع التركيز على ما يتعلق بالبنية التداولية للنصوص الشعرية.
- المصدر الأساسي للنص الشعري: تم اعتماد نص البردة كما ورد في طبعة: البوصيري، محمد بن سعيد .(2010) .قصيدة البردة: متنها وشروحها .تحقيق: محمد يوسف الكافي. بيروت: دار الكتب العلمية(1).

تحليل قصيدة (البردة) من منظور تداولي

تمثل قصيدة البردة للإمام البوصيري أحد النماذج البارزة في الشعر الصوفي والمديح النبوي، حيث تتسم ببنية خطابية معقدة تمزج بين التوسل، والاستعطاف، والتأمل الذاتي، والمدح. ومن منظور تداولي، فإن تحليل هذه القصيدة لا يقتصر على مستواها اللغوي والبلاغي، بل يمتد إلى دراسة الآليات التفاعلية التي تحكم علاقتها بالمتلقي، ومدى تأثير السياق، والمقاصد، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري في تشكيل معناها. وقد أشار خالد (2) إلى أن البنية التداولية للبردة تُظهر تكاملًا بين البُعد الشعري والانفعال الوجداني، إذ تُبنى القصيدة على مقاصد تواصلية واضحة تتجسد في التوسل والدعاء والمدح، مما يجعلها نموذجًا غنيًا للتحليل التداولي في الشعر الصوفي.

يهدف التحليل التداولي إلى استكشاف كيفية استخدام البوصيري للغة في تحقيق أهدافه التواصلية، من خلال دراسة السياق التداولي الذي أُنتجت فيه القصيدة، وتحديد المقاصد التداولية التي وجهت بنية النص، إلى جانب تحليل أفعال الكلام والاستلزام الحواري لفهم التأثيرات الضمنية في الخطاب الشعري. كما سيتم تسليط الضوء على دور المتلقي في بناء

[1]البوصيري، محمد بن سعيد. (2010). قصيدة البردة: متنها وشروحها. تحقيق: محمد يوسف الكافي. بيروت: دار الكتب العلمية.

[2]خالد، سناء عبد الله. (2022). التداولية وتحليل الخطاب الشعري: قصيدة البردة أنموذجًا. مجلة دراسات في اللغة والأدب، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 22، ص. 113.

الدلالة، باعتبار أن الشعر خطاب تفاعلي يتشكل معناه بناءً على التفاعل بين النص والسامع أو القارئ.

من خلال هذا التحليل، سيتم تقديم قراءة متكاملة للقصيدة تتناول مختلف أجزائها، من المقدمة العاطفية التي تعكس تجربة الشاعر الذاتية، إلى المدح النبوي الذي يشكل جوهر النص، وصولًا إلى الخاتمة التي تعكس الطابع الديني والتأملي للقصيدة، مما يتيح فهمًا أعمق للبعد التداولي لهذا النص الشعري الفريد.

أولا: السياق التداولي للقصيدة

يُعدُّ السياق التداولي من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل المعنى داخل الخطاب الشعري، حيث لا يمكن فصل دلالات النص عن البيئة التي أُنتج فيها، والظروف النفسية والاجتماعية التي أحاطت بالشاعر. وفي قصيدة البردة، تتجلى أهمية السياق التداولي في تحديد المقاصد الخطابية للبوصيري، وكيفية توجيهه لخطابه الشعري ليحقق تأثيرًا عاطفيًا وروحيًا في المتلقي. وقد أوضح بن حمو(1) أن السياق الصوفي والتاريخي الذي كُتبت فيه البردة لا ينفصل عن بنيتها الأسلوبية والبلاغية، حيث تسهم الأبعاد النفسية والدينية للشاعر في تشكيل مضمون النص، مما يمنحه طابعًا تواصليًا خاصًا يترسخ في الوعي الجمعي للمتلقي المسلم.

1. السياق التاريخي والثقافي

كُتبت قصيدة البردة في القرن السابع الهجري، وهي فترة شهدت اضطرابات سياسية وتراجعًا حضاريًا في العالم الإسلامي، مما أدى إلى ازدهار النزعات الصوفية كحركة روحية تعزز الارتباط بالدين والبحث عن الخلاص من خلال التوسل والمحبة الإلهية. وكان الإمام البوصيري منخرطًا في هذا السياق الصوفي، حيث كان مرتبطًا بالطرق الصوفية ومدارس المديح النبوي، وهو ما انعكس بوضوح في نصه الشعري. وقد أشار بوقنطار(2)إلى أن السياق الثقافي الذي وُلدت فيه البردة منحها بعدًا طقوسيًا، حيث تجاوزت حدود القصيدة إلى أن أصبحت نصًا دينيًا حيًا في الممارسة الصوفية، يُتلى في المجالس والأذكار، ويُوظّف في بناء علاقة وجدانية وروحية مع النبي.

[1]بن حمو، نصيرة. (2020). السياق في الخطاب الصوفي: قراءة تداولية في قصيدة البردة. مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 36، ص. 238.

[2]بوقنطار، أحمد. (2019). البردة بين البنية الأسلوبية والدلالة الصوفية. مجلة عالم الفكر، المجلد 47، العدد 4، ص. 218.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشعر المدحي في الإسلام كان قد تطور ليصبح أحد أبرز ألوان الخطاب الأدبي، خاصة بعد أن تعززت مكانة المديح النبوي في الثقافة الإسلامية بوصفه وسيلة للتعبير عن التقديس، والتوسل، والتضرع إلى الله من خلال الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وضمن هذا السياق، جاءت البردة لتكون نموذجًا لهذا الاتجاه، حيث اكتسبت شهرة واسعة، وتم تبنيها في مجال الأوراد الصوفية والإنشاد الديني، مما جعلها خطابًا تداوليًا لا يقتصر على الشاعر وحده، بل يمتد إلى المجتمع الإسلامي الذي تفاعل معها بأشكال متعددة.

2. السياق النفسي والتجربة الذاتية للشاعر

تمثل السياقات الذاتية عاملاً مهمًا في فهم البنية التداولية للنصوص الشعرية. وتظهر البردة كخطاب نابع من تجربة شخصية عميقة، حيث يقال إن البوصيري نظم القصيدة أثناء معاناته من مرض شديد، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يمسح بيده الكريمة عليه، ويلقي عليه بردته، فشُفي من مرضه. وقد أشار نمر(1) إلى أن هذه الرؤيا تمثل لحظة انعتاق نفسي للشاعر، انعكست في قصيدته على شكل توسل حار ومديح نقي، مما يجعل النص محملاً بدلالات وجدانية وتعبدية متشابكة.

هذا الحدث شكّل جزءًا من السياق النفسي والتأويلي للنص، حيث جاءت القصيدة تعبيرًا عن الشكر والعرفان، والتوسل إلى النبي الكريم، مما يفسر طبيعة الأفعال الكلامية المستخدمة فيها، مثل الدعاء والاستعطاف والتوسل. كما أن هذا السياق العاطفي والروحي يعمق من تفاعل المتلقي مع النص، ويضفي عليه بعدًا تداوليًا قائمًا على المشاركة الشعورية والتأثر الداخلي.

3. السياق التداولي الداخلي للنص

إلى جانب السياق الخارجي، فإن البنية اللغوية والسردية للقصيدة تعكس سياقًا تداوليًا داخليًا يرتبط بكيفية بناء المعنى داخل النص نفسه. ومن أبرز مظاهر هذا السياق:

- التقسيم الموضوعي للقصيدة :تبدأ البردة بمقدمة وجدانية تصف ألم الشاعر ومعاناته (الغزل العذري)، ثم تنتقل إلى التأمل في النفس البشرية، ومدح النبي، والتوسل إليه، والاستغفار. هذه البنية تجعل من الخطاب أكثر انسجامًا وتأثيرًا على المتلقي. ويشير

[1]نمر، ناصر الدين. (2022). الأبعاد النفسية في شعر البوصيري: دراسة في قصيدة البردة. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد 10، ص. 170.

خالد(1) إلى أن هذا التقسيم يحقق تدرجًا تداوليًا واضحًا، يُراعي الانتقال التدريجي من الذات إلى المقدّس، مما يسهم في تثبيت المقاصد التواصلية للشاعر.

- التكرار والتوكيد :يستخدم البوصيري تقنيات تداولية مثل التكرار والتوكيد لتعزيز الأثر الإقناعي في خطابه. فمثلًا، تتكرر الألفاظ المرتبطة بالاستغفار والندم والرجاء، مما يخلق تأثيرًا وجدانيًا قويًا لدى المتلقي، ويُحدث نوعًا من الاستجابة العاطفية التلقائية.
- التناص القرآني والحديثي :يوظف البوصيري العديد من الإشارات المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف، مما يجعل النص متجذرًا في الوعي الديني للمتلقي، وبالتالي يعزز من فاعليته التداولية داخل السياق الإسلامي، ويُضفي عليه طابعًا تأويليًا مفتوحًا يستجيب لتجارب المتلقي الروحية والثقافية.

4. السياق التداولي وعلاقته بالمتلقي

يؤدي السياق التداولي دورًا جوهريًا في تحديد طبيعة العلاقة بين النص والمتلقي، حيث توجه البردة خطابها إلى نوعين من الجمهور:

- المتلقي المباشر (النبي محمد صلى الله عليه وسلم) :في العديد من أبيات القصيدة، يخاطب البوصيري النبي بشكل مباشر، مستخدمًا أساليب التوسل والرجاء والاستعطاف، وهو ما يعكس نوعًا من التواصل الروحي الذي يسعى من خلاله الشاعر إلى طلب الشفاعة والمغفرة.
- المتلقي العام (الجمهور الإسلامي) :يندمج القارئ أو السامع في النص من خلال التفاعل الوجداني والتأثر العاطفي، حيث تصبح القصيدة بمثابة نص تداولي يتجاوز مجرد المدح إلى كونه خطابًا دينيًا مشتركًا، يستدعي استجابات شعورية وسلوكية لدى المسلمين.

وقد أشار بوخالفة(2)إلى أن الخطاب الصوفي – كما يتجلى في البردة – لا يحقق أثره التداولي إلا بتوافر متلقٍّ مستعد للتفاعل الروحي، إذ أن المتلقي يُستدعى ضمنًا بوصفه شريكًا في التجربة التعبدية، ويُخاطَب عبر تراكيب انفعالية تُفعل الأثر الذهني والوجداني معًا.

يُظهر التحليل التداولي لسياق قصيدة البردة أنها ليست مجرد نص شعري تقليدي، بل خطاب تداولي غني يستمد دلالاته من الظروف التاريخية والثقافية والنفسية التي كُتب فيها، ومن

[1]خالد، مريم. (2020). الانسجام في الخطاب الشعري الصوفي: دراسة تداولية في قصيدة البردة للبوصيري. مجلة دراسات في اللغة والأدب، جامعة الوادي، العدد 8، ص. 98.

[2]بوخالفة، نسرين. (2020). التداولية وتحليل الخطاب الصوفي: قصيدة البردة أنموذجًا. مجلة لغة – جامعة قالمة، العدد 6، ص. 135.

الآليات اللغوية والأسلوبية التي تشكل بنيتها الداخلية. إن فهم هذه السياقات يسمح بإدراك كيف نجح البوصيري في تحويل قصيدته إلى خطاب شعبي مؤثر ظل حاضرًا في التقاليد الصوفية الإسلامية حتى يومنا هذا، مما يعكس قوة السياق التداولي في تشكيل المعنى والتأثير في المتلقي.

**ثانيا: المقاصد التداولية في النص الشعري**

تُعدّ المقاصد التداولية من العناصر الأساسية التي توجه بنية الخطاب الشعري، حيث تعكس نوايا الشاعر وأهدافه التواصلية التي يسعى إلى إيصالها للمتلقي. وفي قصيدة البردة، تتعدد المقاصد التداولية التي وظّفها الإمام البوصيري، والتي تتماشى مع النسق الصوفي والمدحي والتعبدي الذي يميز النص. وقد أكد مقداد (1)أن البوصيري يتقن توزيع المقاصد داخل قصيدته وفقًا لتصاعد وجداني وروحي دقيق، ينتقل فيه المتلقي بين مستويات شعورية متعددة تشمل الألم، والتحذير، والتوسل، والتقديس، والدعاء، مما يعكس بنية تداولية معقّدة لكنها منسجمة.

ويتجلى ذلك في استخدامه لأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والتلميح المباشر وغير المباشر لتحقيق مقاصده الخطابية، حيث تتنوّع هذه المقاصد بين التعبير عن الألم، والدعوة إلى التوبة، والتحذير من الهوى، والتوسل بالنبي، وتعظيم مكانته، وانتهاءً بالحث على العمل الصالح.

1. المقصد الوجداني: التعبير عن الألم والندم

يبدأ البوصيري قصيدته بمقدمة عاطفية تعكس حالته النفسية المضطربة، وما يعتريه من مشاعر الحزن والندم بسبب الذنوب، وهو ما يشكل بُعدًا وجدانيًا مؤثرًا يهدف إلى إثارة تعاطف المتلقي وإشراكه في التجربة الشعورية:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ *** مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ؟

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ *** وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ؟

هنا، يوظّف البوصيري أسلوب الاستفهام للتعبير عن اضطرابه العاطفي، لكنه لا يقدم إجابة مباشرة، مما يجعل المتلقي شريكًا في تأويل النص. كما أن استخدامه لصور الطبيعة مثل الرياح والبرق والدموع يعزز التأثير النفسي ويجعل المعاني أقرب إلى وجدان القارئ. ويشير

[1]مقداد، فتيحة. (2019). المقاصد التداولية في الشعر الصوفي: قصيدة البردة أنموذجًا. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 61، ص. 105.

قريشي (1) إلى أن المقدمة تمثل ذروة التوتر الوجداني في النص، حيث تتشابك الذكرى بالندم، والعزلة بالخوف، ما يضفي على الخطاب بعدًا شعوريًا عميقًا يحفّز التلقي التفاعلي.

2. المقصد التوجيهي: التحذير من هوى النفس

بعد المقدمة العاطفية، ينتقل الشاعر إلى التحذير من اتباع الهوى والوقوع في المعاصي، مستخدمًا أفعالًا إنشائية تحذيرية تتناسب مع الوظيفة التوجيهية للنص:

وَالنَّفْسُ كَالصَّبِيِّ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى *** حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

في هذا البيت، يعتمد البوصيري على الاستعارة التمثيلية، حيث يشبّه النفس البشرية بالصبي، مما يجعل التحذير أكثر تأثيرًا، لأن المتلقي يدرك حقيقة ميل النفس إلى اللذة إذا لم يتم ضبطها. وهذا يُعتبر استلزامًا حواريًا، حيث لا يصرّح الشاعر بوجوب مجاهدة النفس صراحة، لكنه يترك للقارئ استنتاج ذلك ضمنيًا. وقد بيّنت زوينة(2)أن البوصيري يستخدم صورًا توجيهية ذات طابع تمثيلي قوي لإقناع المتلقي بسلوك الطريق القويم، معتمدًا على منطق التداولية القائمة على التلميح والإقناع غير المباشر.

3. المقصد التعبدي: التوسل والاستغفار

يأتي القسم الأبرز في القصيدة عندما ينتقل الشاعر إلى التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة، وهو ما يعكس الوظيفة التأثيرية للنص، حيث يسعى إلى إقناع المتلقي بضرورة اللجوء إلى النبي كوسيلة للخلاص الروحي:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ***سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

يظهر هنا أسلوب النداء والتوسل، الذي يُستخدم عادةً لتحقيق القرب العاطفي، وهو ما يعزز العلاقة بين الشاعر والمتلقي، حيث يجعل القارئ يشارك في المشاعر نفسها، ويتبنى الفكرة الأساسية للنص، وهي اللجوء إلى النبي صلى الله عليه وسلم لطلب الشفاعة والمغفرة.

كما نجد في البيتين التاليين استخدامًا لأفعال الكلام الإنشائية الدعائية، التي تمثل أحد المكونات الجوهرية في الخطاب الديني والشعري الصوفي:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ***فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

[1]قريشي، فاطمة الزهراء. (2022). الأبعاد النفسية والوجدانية في قصيدة البردة للإمام البوصيري. مجلة أبحاث – جامعة سطيف 2، العدد 19، ص. 144

[2]زوينة، فوزية. (2018). التوجيه الأخلاقي في شعر البوصيري: قراءة تداولية في قصيدة البردة. مجلة اللغة العربية وآدابها – جامعة البليدة 2، العدد 12، ص. 228.

هنا، يركّز الشاعر على البعد التأثيري للنص، حيث يجعل القارئ يتفاعل مع إحساسه بالضعف، مما يؤدي إلى تعميق الأثر العاطفي وترسيخ المعاني الروحية التي يسعى إلى توصيلها.

4. المقصد المدحي: تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم

يركّز البوصيري في قسم واسع من قصيدته على مدح النبي وتعظيم مكانته، وهو مقصد أساس في القصيدة، حيث يعتمد على أساليب التكرار، والتوكيد، والصور البلاغية لإبراز صفات النبي الكمالية:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ *** وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

يقدّم البوصيري النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جامعة، مستخدمًا تراكيب متوازنة تحقق تناغمًا صوتيًا ودلاليًا، وهو ما يضفي على الخطاب بعدًا تأثيريًا واضحًا. كما يوظّف المقابلة بين "العرب" و"العجم" للدلالة على شمول الرسالة المحمدية، وامتدادها إلى البشرية جمعاء، مما يُظهر حرص الشاعر على ترسيخ فكرة مركزية النبوة في وعي المتلقي.

وقد أشار بوخالفة(1)إلى أن المديح النبوي في البردة لا يُبنى على الانفعال العاطفي فحسب، بل يستند إلى بناء لغوي مدروس يعلي من مكانة النبي من خلال الإحالة إلى مرجعية دينية وثقافية مشتركة بين الشاعر والمتلقي، مما يضفي على الخطاب طابعًا توقيريًا يتناسب مع قدسية الموضوع.

5. المقصد التذكيري: الحث على التوبة والعمل الصالح

في القسم الأخير من القصيدة، يوجه الشاعر خطابه إلى المتلقي، داعيًا إياه إلى التوبة والتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم:

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولُ اللَّهِ جَاهُكَ بِي ***إِذَا الكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

يظهر هنا البعد التوجيهي والتذكيري، حيث يستخدم البوصيري أسلوب الشرط ليؤكد أن التوبة واللجوء إلى النبي وسيلة للنجاة، وهو ما يعكس وظيفة النص الدعوية.

يكشف التحليل التداولي لمقاصد قصيدة البردة عن تعدد وظائفها الخطابية، حيث ينتقل النص بين التعبير الوجداني، والتوجيه الأخلاقي، والتوسل، والمدح، والتذكير، مما يجعلها نموذجًا شعريًا تداوليًا يتفاعل مع المتلقي وفق استراتيجيات لغوية وأسلوبية دقيقة. ومن خلال استخدامه

[1]بوخالفة، نسرين. (2019). البنية الدلالية للمديح النبوي في قصيدة البردة للبوصيري. مجلة اللغة والأدب – جامعة باتنة 1، العدد 32، ص. 181.

لأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والتكرار، والتوازي الصوتي، والتلميح، ينجح البوصيري في بناء نص مؤثر يحقق أهدافه التواصلية، ويرسّخ مكانة القصيدة في التقليد الأدبي الصوفي.

**ثالثا: الاستلزام الحواري وأفعال الكلام في القصيدة**

يُعدُّ الاستلزام الحواري وأفعال الكلام من المفاهيم الأساسية في التحليل التداولي، إذ تؤكد نظرية التداولية أن المعنى لا يستقر فقط في البنية اللفظية للنص، بل يتجاوزها إلى ما يُستنتج من مقاصد المتكلم وسياق الكلام. وقد أوضح عبد القادر قنون (1) أن أفعال الكلام تمثل النواة المركزية للتواصل اللغوي، لأنها تكشف الوظائف التداولية التي يؤديها المتكلم، سواء كان ينقل معلومة، أو يوجّه أمراً، أو يعبّر عن شعور.

وفي هذا السياق، يعتمد الإمام البوصيري في قصيدة البردة على أشكال متعددة من أفعال الكلام، تتراوح بين الإخبار، والنداء، والتوسل، والتحذير، والدعاء، وهي كلها تحمل بعدًا تواصليًا يتكامل فيه الإيحاء مع الاستلزام. ويتجلّى ذلك في تعدد الأساليب، وتنوّع المقاصد، وتفاعل الخطاب مع المتلقي وفق شروط السياق التعبدي والروحي. لذا فإن تحليل أفعال الكلام والاستلزام الحواري في القصيدة يفتح أفقًا لفهم البنية التداولية للنص في ضوء وظيفته التأثيرية والوجدانية.

1) أفعال الكلام في قصيدة البردة

تقوم نظرية أفعال الكلام على أن اللغة ليست وسيلة لنقل المعاني فقط، بل تُستعمل أيضًا لإنجاز أفعال تواصلية تتراوح بين الإخبار والتوجيه والطلب والتعبير عن المشاعر. ويظهر في قصيدة البردة توظيف واضح لهذه الأفعال، إذ تتوزع بين الخبرية والإنشائية والتأثيرية، في سياق تعبدي صوفي يسعى إلى إشراك المتلقي وجدانيًا وروحيًا.

أ. الأفعال الإخبارية (التقريرية):

يستخدم البوصيري الأفعال الخبرية لوصف حاله النفسية والاعتراف بذنوبه، مما يمنح النص طابعًا تأمليًا:

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ *** مِنَ الجَهَالَةِ وَلَا مِنْ غَيِّهَا صَمَمِ

[1]قنون، عبد القادر. (2008). تحليل الخطاب من المنظور التداولي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة. ص 112.

هنا يُقرّ الشاعر بحالة نفسية، يُراد منها تحفيز المتلقي على التأمل والمشاركة الشعورية. وقد أشار علوان (1) إلى أن مثل هذه الأفعال تؤسس لبنية خطاب اعتراف يتجاوز الوظيفة الخبرية نحو تحقيق غرض توجيهي ضمني.

ب. الأفعال الإنشائية (الدعائية والتوجيهية):

يلجأ البوصيري إلى صيغ الإنشاء في مواضع التوسل والنداء والاستغفار، بما يعكس الحالة الروحية المتوترة التي تسود الخطاب:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ *** سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

هذه الأفعال تتجاوز البناء اللفظي إلى خطاب تضرّعي يُفعّل المشاركة العاطفية لدى المتلقي.

ج. الأفعال التأثيرية (التحذيرية والوعظية):

كما في قوله:

وَالنَّفْسُ كَالصَّبِيِّ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى *** حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

في هذا البيت، يُلمّح الشاعر إلى وجوب تربية النفس ومجاهدتها، دون أن يصرّح بذلك، معتمدًا على توظيف تمثيلي يشجع على الاستنتاج الذهني من قِبل المتلقي.

2) الاستلزام الحواري في القصيدة

يُعدّ الاستلزام الحواري من الظواهر التداولية التي تُعنى بما يُفهم من الكلام دون أن يُقال صراحة، وهو ما يمنح الخطاب مرونة في التأويل، ويجعل المتلقي شريكًا فاعلًا في بناء المعنى. وفي قصيدة البردة، يكثر البوصيري من استخدام تراكيب تُضمر معاني إضافية يُستنتج أغلبها من السياق

أ. الاستلزام في المقدمة العاطفية:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ *** مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ؟

هنا، لا يصرّح الشاعر بمصدر حزنه الحقيقي، لكنه يوحي بأن الألم مرتبط بفقد معنوي يتجاوز الحب التقليدي، ويمتد إلى البُعد الروحي، كما في التأويلات الصوفية التي ترى في الحنين إشارة إلى البُعد عن الهداية الإلهية.

ب. الاستلزام في المديح والتوسل:

[1]علوان، عبد الحكيم. (2019). أفعال الكلام في الشعر الصوفي: قراءة تداولية في قصيدة البردة. مجلة أبحاث – جامعة قسنطينة 2، العدد 14، ص. 108.

إِنَّ النَّبِيَّ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ *** مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

في هذا السياق، لا يعلن البوصيري أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الوسيلة للخلاص، لكن الاستلزام الضمني المستفاد من وصفه بـ "النور" و"السيف" يوحي بأنه مصدر الهداية والنصر الإلهي.

ج. الاستلزام في التحذير من المعاصي:

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ

وَالنَّفْسُ كَالصَّبِيِّ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى *** حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

في هذه الأبيات، يُقدّم الشاعر تشبيهًا تمثيليًا يُستنتج منه وجوب مجاهدة النفس دون أن يُصرّح بذلك. وقد أشار قشي(1) إلى أن مثل هذه البُنى تُظهر قدرة الخطاب الصوفي على تفعيل آليات الإضمار والتلميح كوسائل لبناء خطاب تفسيري مفتوح على تأويلات متعددة.

**رابعًا: تأثير المتلقي في تشكيل المعنى**

تُعدّ التداولية من المناهج التي تُبرز دور المتلقي بوصفه فاعلًا في إنتاج الدلالة، لا مجرد مستقبِل سلبي لها. فالمعنى في الخطاب الشعري لا يتحقق فقط من خلال نية الشاعر، بل يتحدد كذلك من خلال تفاعل المتلقي مع النص، واستجابته لما يتضمنه من إيحاءات، ونداءات، وصور بلاغية. وفي قصيدة البردة، يتضح هذا التفاعل في تعدد مستويات الخطاب، وتنوع طرائق التلقي.

1. مستويات التلقي في قصيدة البردة

يوجه البوصيري خطابه إلى متلقٍ مباشر هو النبي صلى الله عليه وسلم، مستخدمًا أساليب التوسل والمدح:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ *** سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

كما يُخاطب المتلقي العام (الجمهور الإسلامي)، الذي يتفاعل مع القصيدة بوصفها نصًا تعبديًا، يُتلى في المناسبات والمجالس الدينية، مما يجعلها خطابًا جماعيًا يتجاوز البنية الفردية.

2. تأثير الخلفية الثقافية والدينية في التأويل

تختلف دلالات القصيدة باختلاف المتلقي:

- فالمتلقي الصوفي يراها تعبيرًا عن المحبة والذوبان الروحي.

[1]قشي، عبد القادر. (2019). الاستلزام الحواري في الخطاب الصوفي: قصيدة البردة نموذجًا. مجلة اللسانيات والأدب – جامعة تبسة، العدد 11، ص. 151.

- والمتلقي التقليدي يتلقاها كمديح تعبدي.
- والمتلقي النقدي قد يركز على بنيتها اللغوية والدلالية.

وقد أوضح خالد (1) أن قصيدة البردة تكشف عن بنية تداولية تستدعي قارئًا ذا خلفية دينية وروحية، قادر على فك رموز التلميح، وتأويل الإشارات غير المباشرة، وهو ما يفتح النص على إمكانات تأويلية متعددة.

3. دور التفاعل العاطفي في بناء المعنى

يُسهم الإيقاع، والصور البلاغية، والتكرار، في إشراك المتلقي وجدانيًا. كما أن الاستلزام الحواري والتلميح يُعززان مشاركة القارئ في تفسير المعاني الضمنية.

4. استراتيجيات تحفيز التلقي

تُستخدم في النص أدوات تداولية مثل:

- النداء والتكرار لإثارة الانتباه.
- الوزن الشعري لإحداث تأثير إنشادي.
- الخطاب المباشر لإدماج المتلقي في التجربة.

كل ذلك يجعل المعنى في البردة مفتوحًا على التأويل والتفاعل، مما يمنح المتلقي مكانة محورية في تشكيل البنية التداولية للنص.

**النتائج**

يكشف التحليل التداولي لقصيدة البردة للإمام البوصيري عن عمقها التواصلي والتأثيري، حيث تتجاوز كونها مجرد نص شعري مدحي لتتحول إلى خطاب ديني وتعبدي يتفاعل معه المتلقي وفق أطر تداولية متعددة. ومن خلال دراسة السياق التداولي، والمقاصد الخطابية، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، وتأثير المتلقي، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج المهمة:

أولًا: دور السياق التداولي في تشكيل المعنى

- يُظهر السياق التاريخي والثقافي للقصيدة أن البوصيري كان متأثرًا بالاتجاه الصوفي الذي ازدهر في العصر المملوكي، مما انعكس في طبيعة الخطاب التوسلي للقصيدة، حيث أصبحت نصًا روحانيًا يتجاوز المدح التقليدي إلى التفاعل الروحي مع النبي صلى الله عليه وسلم.

[1]خالد، سناء عبد الله. (2022). التداولية وتحليل الخطاب الشعري: قصيدة البردة أنموذجًا. مجلة دراسات في اللغة والأدب – جامعة بسكرة، العدد 22، ص. 117.

- تأثر السياق النفسي للشاعر بتجربته الشخصية مع المرض، مما أضفى على النص طابعًا وجدانيًا عميقًا، حيث بدأ بتأمل ضعفه البشري ومعاناته، قبل الانتقال إلى التوسل بالنبي والرجاء في شفاعته.
- كان السياق التداولي الداخلي للنص واضحًا في تقسيم القصيدة إلى أجزاء مترابطة تبدأ بالغزل العذري كتمهيد، ثم تنتقل إلى التوجيه والتحذير، فالمدح، وأخيرًا التوسل والاستغفار، مما يعكس تخطيطًا تداوليًا محكمًا يسهم في تحقيق التأثير العاطفي المطلوب.

ثانيًا: تحقيق المقاصد التداولية عبر البناء الخطابي

- تنوعت المقاصد التداولية في النص بين الوجدانية (التعبير عن الندم والمعاناة)، والتوجيهية (التحذير من هوى النفس)، والتعبدية (التوسل والمدح النبوي)، والتذكيرية (الحث على التوبة والعمل الصالح)، مما جعل النص خطابًا متعدد الأبعاد يتفاعل مع المتلقي بطرق مختلفة.
- استخدم البوصيري استراتيجيات خطابية متنوعة لتعزيز مقاصده، مثل الاستفهام الإنكاري، والنداء، والتكرار، والصور الاستعارية، مما ساهم في جعل الخطاب أكثر تأثيرًا على المتلقي.
- اعتمد النص على الأساليب البلاغية ذات الأثر التداولي الواضح، حيث استُخدمت الاستعارات والتشبيهات لتحقيق استلزام حواري يجعل المتلقي يشارك في استنتاج المعنى بدلًا من تلقيه بشكل مباشر.

ثالثًا: أثر أفعال الكلام والاستلزام الحواري في توجيه المعنى

- أظهرت الدراسة أن البوصيري استخدم أفعال الكلام التقريرية في وصف حالته النفسية، بينما لجأ إلى أفعال الكلام الإنشائية (النداء، الدعاء، الاستغفار، الأمر والنهي) لتحقيق التأثير الخطابي والإقناعي.
- كان الاستلزام الحواري حاضرًا في النص، حيث لم يُصرّح الشاعر ببعض الأفكار مباشرة، بل تركها للمتلقي ليستنتجها عبر التلميح، كما في حديثه عن ضعف النفس، وضرورة التوبة، وطلب الشفاعة.

- برزت أفعال الكلام التوجيهية بشكل واضح في الأبيات التي تدعو إلى مجاهدة النفس، حيث قدّم الشاعر تحذيراته بأسلوب غير مباشر يعتمد على التصوير المجازي، مما جعل المعنى أكثر قوة وتأثيرًا.

رابعًا: دور المتلقي في تشكيل الدلالة

- أثبت التحليل أن المعنى في قصيدة البردة ليس ثابتًا، بل يتغير وفقًا لخلفية المتلقي وتأويله للنص.
- بالنسبة للمتلقي الصوفي، تعدّ القصيدة نصًا تعبديًا يرتبط بالممارسات الصوفية والإنشاد الديني، حيث يتم تأويلها في سياق التوسل الروحي والتفاعل العاطفي مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- بالنسبة للمتلقي التقليدي، فإن البردة تُقرأ كنص مدحي تقليدي يعكس مهارات الشاعر في التعبير عن تعظيم النبي بأسلوب شعري بليغ.
- أما المتلقي النقدي، فيرى فيها نصًا قائمًا على آليات تداولية متقنة، حيث يستخدم البوصيري استراتيجيات خطابية تحفّز المشاركة التأويلية للمتلقي.

**مناقشة النتائج**

كشفت نتائج التحليل التداولي لقصيدة البردة أن البوصيري لم يقدم نصًا شعريًا تقليديًا بقدر ما شيّد خطابًا تداوليًا متكامل الأبعاد، يتأسس على مقاصد تواصلية متعددة تشمل التوسل، والمدح، والوعظ، والتحذير، ويتحقق فيها التفاعل بين الشاعر والمتلقي من خلال أدوات لغوية وأسلوبية عالية الدقة. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن البنية التداولية في القصيدة تقوم على التدرج من الاعتراف والتأمل الذاتي، إلى الخطاب المدحي الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم إلى الحث على التوبة والإصلاح، وهو ما يعكس تعددية المقاصد وتكاملها ضمن نسق ديني وروحي.

تتقاطع هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة الزبيدي وحمادي(1)، التي أكدت على إمكانية تطبيق التداولية على الشعر العربي القديم، وأن السياق التداولي – الزماني، والنفسي، والثقافي – يمثل مفتاحًا جوهريًا لفهم البنية العميقة للخطاب الشعري. وقد أظهرت دراسة الزبيدي أن

[1]الزبيدي، جابر، & حمادي، حسين. (2022). الشعر العربي القديم في الدراسات التداولية. مرجع سبق ذكره.

قلة الاهتمام العربي بالتطبيق التداولي على النصوص التراثية تفتح المجال لدراسات مثل هذه، تسعى إلى سد الفجوة من خلال تحليلات تربط النص بسياقه والمتلقي في آن معًا.

كما تتوافق نتائج هذه الدراسة مع ما توصل إليه حسين(1)في دراسته لأفعال الكلام في شعر السيد الحميري، إذ أوضح أن الشعر يوظف الأفعال الخبرية والإنشائية توظيفًا مخصوصًا يُكيّف الوظيفة التداولية ضمن خطاب تعبيري وتأثيري، وهو ما أظهره البوصيري بجلاء من خلال تعدد أفعال الكلام في قصيدته، لا سيما أفعال الدعاء والتوسل والنداء، التي تخلق مسافة وجدانية بين الشاعر والمتلقي، وتستثير التفاعل دون تصريح مباشر.

أما على مستوى العلاقة مع المتلقي، فقد بينت نتائج الدراسة أن قصيدة البردة تنفتح على أكثر من نوع من التلقي، من المتلقي الصوفي المتأمل، إلى القارئ التقليدي، إلى المتلقي النقدي المعاصر. وهذا التعدد يتماشى مع ما أشار إليه خداده(2)في دراسته "النص وتجليات التلقي"، حيث بيّن أن المعنى ليس منغلقًا على نية المؤلف بل يتشكل وفق استجابات المتلقي وسياق التأويل، وهي الرؤية التي تنسجم مع تحليل البردة كنص مفتوح على التأويل الزمني والتداول الجماعي عبر العصور.

**الخاتمة**

تؤكد الدراسة التداولية لقصيدة البردة للإمام البوصيري على أن هذه القصيدة ليست مجرد عمل أدبي تقليدي في المدح النبوي، بل هي خطاب تواصلي مؤثر يعتمد على استراتيجيات تداولية معقدة تسهم في تشكيل معانيه وتأثيره على المتلقي. وقد أظهر التحليل أن الشاعر استطاع من خلال البنية الخطابية والسياق التداولي، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري أن يخلق نصًا تفاعليًا يحقق أهدافًا وجدانية، توجيهية، تعبدية ومدحية.

وقد تبين أن السياق التاريخي والثقافي للقصيدة لعب دورًا أساسيًا في تشكيل دلالاتها، حيث جاءت في إطار المدائح الصوفية التي تعكس ارتباطًا روحيًا خاصًا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما أن المقاصد التداولية للنص تعددت بين التوسل، والتعبير عن الندم، والدعوة إلى مجاهدة النفس، والاستغفار، مما جعلها نصًا مؤثرًا على الصعيدين الديني والأدبي.

[1]حسين، عبد الله. (2022). الفعل الكلاميّ الخبريّ في الخطاب الشعريّ للسيد الحميريّ: التمثيل النحويّ للوظائف التداوليَّة. مرجع سبق ذكره

[2]خداده، سالم عباس. (2000). النص وتجليات التلقي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره

كما أظهر التحليل أن البوصيري استخدم أفعال الكلام الإنشائية (التوسل، الدعاء، النداء) وأفعال الكلام التوجيهية (النصح، التحذير) لإيصال رسالته بأسلوب غير مباشر يعزز التفاعل العاطفي والتأويلي لدى المتلقي .وقد كان للاستلزام الحواري دور مهم في توسيع أفق المعنى وإتاحة تعدد التأويلات، مما ساهم في استمرار تداول القصيدة على نطاق واسع في السياقات الدينية والثقافية المختلفة.

وعليه، فإن هذه الدراسة تؤكد أن قصيدة البردة لا تُفهم فقط من خلال بنيتها اللغوية والبلاغية، بل يجب تحليلها في ضوء العناصر التداولية التي تحكم علاقتها بالسياق والمتلقي .وهذا يؤكد أهمية المنهج التداولي في تحليل النصوص الشعرية، خاصة في القصائد التي تتميز بعمقها الدلالي والتأثيري، مثل المدائح النبوية .ومن هنا، يمكن اقتراح مزيد من الدراسات التداولية التي تتناول النصوص الشعرية التراثية، للكشف عن آليات التواصل والتأثير اللغوي فيها، وعلاقتها بالمتلقي في مختلف الأزمنة والسياقات.

**قائمة المراجع**


1. أحمد، محمد .(2015) .التداولية وتحليل الخطاب: تطبيقات في الخطاب السياسي والإعلامي والأدبي .دار الفكر العربي.
2. السيد، أحمد محمد .(2017) .التداولية وتحليل الخطاب: دراسة في آليات التأويل والافتراض المسبق .دار الفارابي.
3. أوستن، جون لانجشو .(1991) .نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام . ترجمة: مصطفى ماهر. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
4. البوصيري، محمد بن سعيد .(2010) .قصيدة البردة: متنها وشروحها .تحقيق: محمد يوسف الكافي. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. الجابري، م. (2023). "السياق التداولي وبناء المعنى في شعر 'أبي تمام' (فتح عمورية اختيارًا) ".مجلة كلية التربية – جامعة واسط، المجلد 52، ص. 109–120.
6. الجرجاني، عبد القاهر .(1992) .دلائل الإعجاز في علم المعاني .تحقيق: محمود محمد شاكر. المدينة المنورة: دار المدني.
7. بن حمو، نصيرة. (2020). "السياق في الخطاب الصوفي: قراءة تداولية في قصيدة البردة ". مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 36، ص. 225–240.
8. بن عيسى، عبد القادر .(2017) .التداولية وتحليل الخطاب الشعري: مقاربة في السياق والمعنى .عمان: دار كنوز المعرفة.

9. بوخالفة، نسرين. (2019). "البنية الدلالية للمديح النبوي في قصيدة البردة للبوصيري ". مجلة اللغة والأدب – جامعة باتنة 1، العدد 32، ص. 173–188.
10. بوخالفة، نسرين. (2020). "التداولية وتحليل الخطاب الصوفي: قصيدة البردة أنموذجًا ". مجلة لغة – جامعة قالمة، العدد 6، ص. 130–147.
11. بوقنطار، أحمد. (2019). "البردة بين البنية الأسلوبية والدلالة الصوفية ".مجلة عالم الفكر، المجلد 47، العدد 4، ص. 213–240.
12. ت. فان ديك، تيون .(2000) .تحليل الخطاب والسياق .ترجمة: سعيد حسن بحيري. عمان: دار كنوز المعرفة.
13. جاكوبسون، رومان .(1985) .اللغويات والشعرية .ترجمة: محمد البكري. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
14. خداده، سالم عباس. (2000). "النص وتجليات التلقي ".حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 147، سلسلة الرسائل الجامعية (20)، مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت.
15. خالد، سناء عبد الله. (2022). "التداولية وتحليل الخطاب الشعري: قصيدة البردة أنموذجًا ". مجلة دراسات في اللغة والأدب – جامعة بسكرة، العدد 22، ص. 110–125.
16. خالد، مريم. (2020). "الانسجام في الخطاب الشعري الصوفي: دراسة تداولية في قصيدة البردة للبوصيري ".مجلة دراسات في اللغة والأدب – جامعة الوادي، العدد 8، ص. 85–102.
17. دلاش، الجيلالي .(1992) .مدخل إلى اللسانيات التداولية .ترجمة: محمد يحياتن. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
18. الزبيدي، جابر، &حمادي، حسين. (2022). "الشعر العربي القديم في الدراسات التداولية ". مجلة لارك، المجلد 2، ص. 375–395.
19. زوينة، فوزية. (2018). "التوجيه الأخلاقي في شعر البوصيري: قراءة تداولية في قصيدة البردة ".مجلة اللغة العربية وآدابها – جامعة البليدة 2، العدد 12، ص. 221–238.
20. سيرل، جون روجرز .(1994) .الأفعال الكلامية: مقالة في فلسفة اللغة .ترجمة: مصطفى صافي. بيروت: دار الحقيقة.
21. غرايس، هربرت بول .(2009) .المنطق والمحادثة .ترجمة: عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
22. قريشي، فاطمة الزهراء. (2022). "الأبعاد النفسية والوجدانية في قصيدة البردة للإمام البوصيري ".مجلة أبحاث – جامعة سطيف 2، العدد 19، ص. 143–160.

23. قشي، عبد القادر. (2019). "الاستلزام الحواري في الخطاب الصوفي: قصيدة البردة نموذجًا ".مجلة اللسانيات والأدب – جامعة تبسة، العدد 11، ص. 145–162.
24. قنون، عبد القادر .(2008) .تحليل الخطاب من المنظور التداولي .بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
25. مقداد، فتيحة. (2019). "المقاصد التداولية في الشعر الصوفي: قصيدة البردة أنموذجًا ". مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 61، ص. 95–112.
26. نمر، ناصر الدين. (2022). "الأبعاد النفسية في شعر البوصيري: دراسة في قصيدة البردة ".مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها – جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد 10، ص. 167–184.
27. الربابية، هارون. (2023). "التناص اللغوي في الصورة الفنية بين رسالة أبي عبد الله الصغير وبردة الإمام البوصيري ".مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 50، ص. 288–305.
28. الشيخ أحمد، محمد الأمين، &الفوزان، عبد الله بن حمود. (2020). "تحليل الخطاب الأدبي في ضوء النظريات التداولية: دراسة ومقاربات ".مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد 60، ص. 15.
29. حسين، عبد الله. (2022). "الفعل الكلاميّ الخبريّ في الخطاب الشعريّ للسيد الحميريّ: التمثيل النحويّ للوظائف التداوليَّة ".مجلة العلوم الأساسية، المجلد 5، ص. 143–174.
30. علوان، عبد الحكيم. (2019). "أفعال الكلام في الشعر الصوفي: قراءة تداولية في قصيدة البردة ".مجلة أبحاث – جامعة قسنطينة 2، العدد 14، ص. 101–119.